تراث وآثار

ماري الأثرية تشرح المدنية

افتتاح موسم المحاضرات في الجامعة الأميركية لهذه السنة كان من مدينة ماري الأثرية. فهذا الموقع السوري أعطى العلم والتاريخ معلومات تشرح كيف تبنى الدول وتمتد سلطاتها، ومثّل أولى المدن في العالم

جوان فرشخ بجالي

قبل 5000 سنة، قرر ملك بناء مدينة على ضفاف نهر الفرات، فكان هناك تخطيط هندسي واضح للمدينة وأسوارها وقناة جر مياهها... مدينة ضخمة شيّدت وسمّيت لاحقاً مدينة ماري. ماري التي تعرف اليوم بتل الحريري هي «أول مدينة معروفة في شمال بلاد ما بين النهرين، وهي ثالث مدينة معروفة عالمياً»، بهذه المقولة بدأ البروفسور جان كلود مارغورون حديثه عن موقع ماري، الذي أنهى الحفريات الأثرية فيه مدة خمس وأربعين سنة. مارغورون الذي افتتح موسم المحاضرات لهذه السنة في متحف الجامعة الأميركية تكلم أكثر من ساعة عن مدينة ماري، وشكلها الهندسي الذي يُبرز تطور الحياة وتغيرها داخل أسوار تلك المدينة. وصف هذا العالم دقيق لدرجة أنه قد يصعب تصديق بعض تلك المعلومات، تشكيك يردّ عليه مارغورون قائلاً: "ما أطلعكم عليه ليس نظريات ولا تخيلات أو ضرباً من الخيال. إنها معلومات علمية دقيقة أتت نتيجة الحفريات الأثرية والدراسات المطولة التي أنجزها الفريق في هذا الموقع».
«فمدينة ماري مبنية على مقربة من نهر الفرات، لا على ضفافه، مخافة من أن تجرفها المياه في أيام الشتاء التي تهطل بقوّة في المنطقة»، كما يقول مارغورون. «وبما أن المدينة لن تعيش من دون مياه الفرات، شق الأقدمون قناة جر يصل عمقها إلى عشرة أمتار تحوّل قسماً من مياه النهر إلى داخل المدينة، وهي مجهّزة للملاحة النهرية ورسوّ السفن». ولحماية المدينة الدائرية الشكل، التي يصل قطرها إلى 19 كلم، شيد الأقدمون من حولها سوراً أولياً مبنياً من حجر ومغطى بالطين بشكل هضبة صغيرة. ثم، وعلى مسافة من السور الأوّلي شيدت أسوار المدينة التي ترتفع عالياً لتحميها من الغزاة والحروب. وداخل تلك الأسوار بنيت البيوت التي وصل عدد سكانها إلى نحو 20,000 فرد، كما يرجح مارغورون. «ولأن موسم الأمطار في ماري قصير وعنيف، تبدّل الشكل الهندسي للمدينة. «فمدينة ماري ترتفع 16 متراً عن سطح السهل المحيط بها، وقد جرى ذلك بقرار سابق. فسكانها وضعوا الأتربة المتراكمة من حفر قناة الجر في المنطقة التي حددت للبناء بهدف رفع المدينة الدائرية. ثم، رفعوا وسطها أكثر من الدوائر ممّا يسمح للسيول بالانحدار بسرعة» كما يقول مارغورون. وليس لبيوت ماري أيّ قاعات داخلية مكشوفة لكي لا تمتلئ بالمياه التي كانت تسري من الأسقف الى الشوارع العامة. وكانت هذه الأخيرة تتبع تصميماً هندسياً خاصاً بها: إنها شوارع تمتص المياه. فأرضها مرصوصة بالأتربة لدرجة أن الأمطار ولو هطلت بمعدل 80 ملم في اليوم الواحد (أي ما يكفي لإغراق شوارع بيروت كلها) لا تعيق تحرك سكان ماري!

> **ولو هطلت مياه الأمطار بنسبة 80 ملم في اليوم تبقى الطرقات سالكة**

مخطط مدينة ماري بحسب الدراسات الأثرية وتبدو قناة جر المياه

تمثال لالهة الخصوبة

فهذه المدينة التي عاشت ما بين 2900 قبل الميلاد و1790 عرفت عصراً ذهبياً مهولاً. فقد أنتج فنانوها منحوتات تتنافس أكبر المتاحف في العالم على عرضها. قطع حفرت في الصخر الصلب وأخرى صنعت من الطين. «وغطى رساموها جدران القصر الملكي برسوم تبرز تفاصيل الحياة اليومية، وتفتن زائري البلاط الملكي برفاهية الحياة في ماري. هذا القصر الذي وصلت مساحته إلى 2,5 هكتار، والذي رُفعت في باحته الداخلية نخلة اصطناعية عربوناً عن غنى المدينة. نخلة حفرت حبات البلح فيها بالذهب والفضة...» كما يؤكد مارغورون الذي لا يزال لا يغفر للملك البابلي حمورابي تدميره لهذه المدينة الدائرية المزدهرة. فجيوشه اجتاحتها وأحرقتها لدرجة أنها لن ترتفع من رمادها.
والدور السياسي والاقتصادي الذي أدّته ماري على نطاق بلاد ما بين النهرين والداخل السوري كُتب في أرشيفها الملكي، الذي لم يُتطرق له في هذه المحاضرة، لكنه يكفي لصوغ كتب وورش عمل. فهو شاهد آخر على أهمية مدن الفرات.

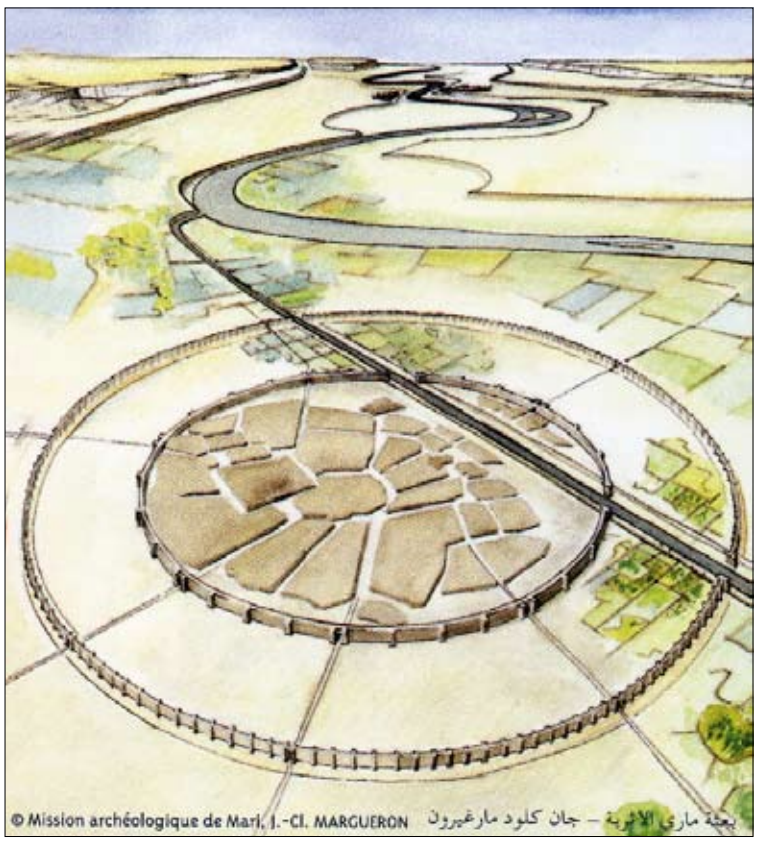

حياكة السلال وصناعتها في متحف تربل

صحون كبيرة مصنوعة من القش والخيزران

سلال من القش، سلال من القمح، صحون الخيزران، سجّاد للصلاة... قطع من التراث اللبناني يكرس لها متحف تربل معرضه السنوي. فنهار السبت الواقع فيه 16/ 10/ 2010. ستفتح أبواب المتحف أمام الزوار ليستقبلهم في قاعاته، حيث تُعرض مجموعات تبرز فن حياكة السلال وصناعتها في لبنان. المعرض نظمته ونفذته المؤسسة الوطنية للتراث، التي أسست المتحف في قرية تربل، وهي تشرف عليه. وتشرح نايلة كونغ كتانة، الناطقة باسم المؤسسة الوطنية للتراث ومنظمة المعرض، أن «تاريخ بعض القطع المعروضة يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر، والبعض الآخر صُنع أخيراً». وتقول إن القطع الكبيرة والفريدة هي ملك لأفراد، منهم لينا عودة وهودا قاسطلي وغيرهما، «قدموا مجموعاتهم إلى متحف تربل لإتمام هذا المعرض الذي يدوم حتى نهاية السنة». بعض تلك القطع يبرز فن الحياكة والمهارة العالية التي يتطلبها في إدخال الألوان بين قطع الخيزران أو داخل سنابل القمح وجدائل البلح. فحياكة القصب فن بحد ذاته، من هنا كان اسم المعرض «فن حياكة السلال». تضيف كتانة إن المعرض يتوزع على غرفتين من غرف البيت الترابي الذي أُنشئ المتحف في داخله. «الغرفة الأولى مخصصة للمونة والقطع المصنوعة لاحتواء المآكل. أما الغرفة الثانية، فهي لعرض الصحون الكبيرة التي تُستعمل في صناعة المعجنات والقطايف، ولسجادات الصلاة التي كان يحاك وسطها». «القطع المعروضة في متحف تربل هي إيحاء للحرفيين اللبنانيين»، كما كتبت نور مجدلاني على غلاف كتابها «La Vannerie» الذي أعدته خصيصاً للمعرض، الذي أتى ليرافق طرق الحياكة ومتطلباتها ويشرحها.
تجدر الإشارة الى أن القطع المعروضة في متحف تربل كانت تُستخدم يومياً في القرى اللبنانية، لكن دخول الأواني المصنوعة من البلاستيك الى الحياة اليومية كان السبب الأول في بداية زوالها. أما السبب الثاني، فهو النقص في الحرفيين الشباب الذين يريدون مزاولة هذه الحرفة. لذا، فالقسم الكبير من القطع المعروضة، وخاصةً المصنوعة من ورق البلح، بات في طريق الزوال.
ويعدّ فن حياكة السلال من أقدم الحرف في لبنان، وقد انتشرت في مناطق الساحل أو القرى الجبلية. وتختلف مواد الحياكة بحسب موقع القرية، وانتشار أنواع الزراعة فيها وقربها من مجاري الأنهر. فأهالي القرى التي عرفت زراعة القصب احترفوا صناعة السلال القصبية، والحصائر لتغطية الأرض والسقوف منذ قرون. أما هؤلاء الذين كبروا قرب شجر البلح، فأدركوا أهميته في صناعة القبعات أو سلال الفاكهة والخضار... أما القش، فيبقى الصديق الأكبر للصحون الكبيرة والكراسي. إنها مهنة تختصر حياكة أجيال في قرى لبنان، ومهنة تبرز أيضاً، ومن جديد، حياة الفلاحين. لذا، فمن الطبيعي أن ينظم المعرض في متحف تربل الذي أنشأته المؤسسة الوطنية للتراث، والذي يهدف إلى إبراز حياة المزارعين اللبنانيين في القرون الماضية. ويبقى التمني بأن يترجم الكتاب إلى العربيةٍ لكي يكون في متناول المزارعين، وخاصةً أهالي القرى البقاعية.

ج. ف. ب

مصر تنشط لإعادة آثارها المسروقة

وقّعت مصر اتفاقية لحماية الآثار المسروقة واستردادها مع الصين. وحدّد بيان المجلس الأعلى للآثار في مصر «أن هدف الاتفاقية هو حماية الممتلكات الثقافية المسروقة التي خرجت من موطنها الأصلي بطرق غير مشروعة واستردادها. وتنص الاتفاقية على ضرورة التصدي لسرقة الآثار، وتسير طبقاً لمبادئ اتفاقية لاهاي التي نصتها اليونسكو لعام 1970. وكانت الصين قد أبدت رغبتها في الاستفادة من التجربة المصرية في مجال استعادة الآثار بعدما شاركت في أول مؤتمر دولي استضافته القاهرة في نيسان (أبريل) 2010 عن استرداد الممتلكات الثقافية والأثرية التي خرجت بطرق غير مشروعة من الدول ذات الحضارات العريقة.
ونجحت مصر في الآونة الأخيرة في استرداد ألوف القطع الأثرية التي هربت للخارج حيث تعمل على محورين: قانوني ودبلوماسي لضمان حقوقها في آثارها المهربة وحفظها.
وفي نيسان الماضي استعادت مصر إصبع الفرعون أخناتون التي سُرقت من إحدى قدمي الملك عام 1907 أثناء فحص المومياء. واستعادت من سويسرا قطعاً أثرية، منها العين الخاصة بتمثال الملك أمنحتب الثالث والد أخناتون، وكانت موجودة في متحف الآثار في مدينة بال، ويبلغ طولها 50 سنتيمتراً وسرقت من التمثال عند نقله عام 1972 من موقعه في منطقة الأقصر.
وأوضح البيان أن أهمية الاتفاقية بين البلدين تتضح من اعتبار الصين «من أكبر الأسواق في العالم للاتجار في الآثار، والتشريعات الصينية تسمح بعملية الاتجار بيعاً وشراءً». لكن ستعمل بعد هذه الاتفاقية على وقف بيع أي قطعة أثرية أو فنية مصرية أو صينية تباع في كل من البلدين في حال ثبوت خروجها بطرق غير مشروعة.
وكانت مصر قد وقعت اتفاقيات مماثلة مع كل من الأردن وإيطاليا وسويسرا وكوبا والإكوادور.